

تفريغات

أصول التفسير

لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

عضو هيئة كبار العلماء
والأستاذ بكلية الشريعة بالقصيم

- رحمه الله تعالى -

شرح شيخنا الفاضل العلامة

أحمد بن محمد بن صالح العثيمين

حفظه الله تعالى



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ
لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ .

ألا وإنَّ أَصْدَقَ الْكَلَامِ كَلَامَ اللَّهِ ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ - صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحَدَّثَاتُهَا ، وَكُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ
ضَلَالَةٌ وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ .

أما بعد :

فأحمد الله - عزّ وجل - في بداية مدارس هذا الكتاب " **أصول التفسير**
" لشيخنا العلامة الفذّ المفسر ، المُحدِّث الفقيه ، اللُّغوي " **محمد بن
صالح العثيمين - رحمه الله تعالى** - " إنَّ هذا العالم من نوادر هذا العصر
؛ علمًا ، وعملاً ، و منهجًا ، و بطانةً ، نحسبه كذلك ولا نُزكي على الله
أحدًا .

فنحن في هذا المعهد ؛ الصرح العلمي ، اخترنا أن يكون من مفرداته في
التفسير وفي أصوله ؛ كتاب الإمام ابن عثيمين - رحمه الله تعالى -
" **أصول في التفسير** " .

قبل الشروع في قراءة هذا الكتاب مع التعليق عليه والشرح ، أحببت أن أقدم ببعض المُقدمات التي تكون - بإذن الله تعالى - مفتاحًا ، ومدخلًا لدراسة هذا الكتاب .

فأولاً : شيءٌ من التعريف بالإمام ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - .

وثانيًا : المبادئ العشرة لهذا العلم .

وثالثًا : المؤلفات في هذا العلم ؛ أي ذكر بعضها .

ورابعًا : الفرقُ بين علوم القرآن وأصول التفسير .

وخامسًا : شيء من المميزات لهذا الكتاب .

وسادسًا : بعض الملاحظات على هذا الكتاب .

فأمَّا التعريف بالشيخ "**ابن عثيمين - رحمه الله تعالى -**" ؛ فهو معروفٌ

ومشهورٌ ، وعَلِمَ من أعلام هذا العصر ، وثارَت بل وطارت بمؤلفاته في

أغلب بقاع الأرض ، وبدروسه وصوتياته - رحمه الله تعالى - .

كنيته : أبو عبد الله .

واسمه : محمد بن صالح بن محمد التَّميمي ، محمد بن صالح بن

محمد بن العثيمين التَّميمي .

وُلد - رحمه الله تعالى - : في السابع والعشرين من رمضان ، عام سبعٍ

وأربعين وثلاث مئة وألف من الهجرة النبوية .

تلقى العلم عن علماء كُثُر منهم ومن أشهرهم الشيخ العلامة عبد الرحمن

بن ناصر السعدي صاحب التفسير المشهور والمؤلفات الكثيرة النافعة -

بإذن الله تعالى - ، ومنهم أيضًا من شيوخه الشيخ العلامة عبد العزيز بن

باز - رحمهم الله تعالى جميعًا - وله غيرهما من المشايخ ، وله مؤلفات

عديدة مفيدة نافعة ، من أبرزها " **القول المفيد على كتاب التوحيد** " ، و
 " **شرح العقيدة الواسطية** " ، و " **الشرح الممتع على زاد المستقنع** " ، و
 " **مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين** " وغيرها من المؤلفات في الفقه
 وفي الحديث وفي التفسير ؛ بل وفي اللغة وفي البلاغة - رحمه الله تعالى

.-

وقد تولى الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - إمامة الجامع الكبير
 بعنيزة ، وتولى أيضًا التدريس في مكتبة عنيزة الوطنية ، بالإضافة إلى
 التدريس في المعهد العلمي ؛ فتولى إمامة الجامع الكبير بعنيزة بعد وفاة
 الشيخ السعدي - رحمه الله تعالى - ، ثم انتقل من التدريس في المعهد
 العلمي إلى التدريس في كليتي الشريعة وأصول الدين بفرع جامعة الإمام
 محمد بن سعود الإسلامية بالقصيم ، بالإضافة إلى عضويته في هيئة
 كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية ، كما ذكر ذلك في ترجمته .
 وتوفي - رحمه الله تعالى - في شهر شوال عام واحد وعشرين وأربع مئة
 بعد الألف (1421) من الهجرة النبوية فيكون عمره تقريبًا ما يقارب
 خمس وسبعين (75) سنة .

نسأل الله - عز وجل - أن يتقبله في الصالحين مع النبيين والصديقين ؛
 فقد كان - رحمه الله تعالى - إمامًا في هذا العصر في علم العقيدة كان مبرزًا
 وله كتب وردود وشروح مثل : القواعد المثلى في الأسماء الحسنی
 والصفات العلی ، ومثل : شرح كتاب التوحيد وكتاب العقيدة ، وردود
 على المخالفين للعقيدة ، وكان صاحب منهج سلفي ؛ حتى كان الشيخ
 ربيع لما رد على بعض المخالفين ، قيل له : هل تبدهم ؟ ، قال :
 " **أنا بينت أخطاءهم وانظروا ما يقول الشيخ ابن باز والشيخ العثيمين**

في هؤلاء ، فأرجع الحكم على المخالفين بعد بيان حالهم إلى هؤلاء

العلماء " ، وهكذا أهل العلم يُسند بعضهم إلى بعضٍ في مثل هذه الأمور ونحوها ؛ والشاهد من هذا أن الشيخ ربيع لم يحكم بنفسه وأحال على الشيخ العثيمين مما يدل على مكانة وفضل وعلم الشيخ ابن العثيمين - رحمه الله تعالى - وكتبه وأشرطته -أي أعني- الشيخ ابن العثيمين - رحمه الله تعالى - مليئة بالتأصيلات السلفية والقواعد المنهجية التي يدركها كل سلفيٍّ وكل من شم رائحة السلفية ، وشيءٌ قلته وأقوله وأكرره بين الإخوة عن نفسي كنت أقول :

" ما كنا نعرف السلفية إلا في الألباني وابن باز وابن عثيمين - رحمة الله

عليهم جميعاً - "

قبل أن نعرف المشايخ الآخرين - حفظهم الله تعالى - ورحم من مات منهم ، فالسلفية عرفناها من هؤلاء المشايخ ، فكان هؤلاء المشايخ لهم قدرهم ومكانتهم ووزنهم ولا زالت عند الناس - بفضل الله تعالى - ، وقد جالستُ الشيخ وحضرتُ بعض دروسه في المسجد الحرام خاصةً في العشر الأواخر من رمضان والتقيتُ به في مجالس وسألته بعض الأسئلة ، ومرةً أخذني الشيخ محمد بن عمر بازمول - حفظه الله تعالى - ، قال :
تعال معي !

قلت له : إلى أين ؟

قال : الشيخ العثيمين مدعوٌ على عشاء الليلة .

وكأني أذكر أن صاحب دعوة العشاء الأخ الشيخ الفاضل نواف الشريف آل غالب أو أن أسرة آل غالب دعت الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - والشيخ نواف هو الذي تولى الأمر ، ونحن على العشاء نتعشى وكنت مِمَّا مَنَّ اللهُ - عز وجل - عليَّ قريبًا من الشيخ ، فكان الشيخ -

رحمه الله تعالى - ونحن نتعشى يلتفت إلى الخلف لاويًا ظهره آخذًا
 قطعةً من اللحم يرميها إلى القطط - إلى الهرة - وهو يتبسم ويقول :
" وفي كل ذات كبد رطبة صدقة " ، فكان يطبق عمليًا السنة النبوية -
 رحمه الله تعالى - ، وله أشياء كثيرة معروفة لا أستطيع في هذه العجالة
 أن آتي عليها جميعًا ؛ ولكن لعلني أذكر أن هناك بعض الدراسات في
 الماجستير أو الدكتوراه لا يحضرني في أيهما عن - يعني - دعوة الإمام ابن
 عثيمين ومنهجه في العقيدة وفي الدعوة ونحو ذلك ؛ بل حتى وفي فقهه -
 رحمه الله تعالى - وفي اختياراته الفقهية رسائل علمية ، فهذا كله يدل
 دلالة واضحة مؤكدة لما هو معروف ومشهور من مكانة الشيخ - رحمه
 الله تعالى - ؛ هذه النقطة الأولى المتعلقة بترجمة الشيخ - رحمه الله
 تعالى - .

وقد حاول بعض الأفاكين الكذابين المتعالمين أن ينسب إليّ أني أطعن في
 الشيخ ابن عثيمين ، وقد رددتُ على هذه الفرية في بعض المقالات ،
 ولكن هؤلاء الذين يفسدون في الأرض ولا يصلحون ، لا يزالون يفترون
 على السلفيين ، ويحاولون إيذاءهم بأي طريقة كانت ولو بالكذب
 والافتراء ، فالحمد لله مؤلفاتي ورسائلي وأشرطتي كلها مليئة بالنقل عن
 الشيخ العلامة ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - ؛ ولكن كما يقال **" عنزة
 ولو طارت "** ، وهذا مما تعلمته من شيخنا الأستاذ الدكتور محمد بازمول
 - حفظه الله تعالى - .

فأقول : الحمد لله الذي جعلني منذ أن شرعتُ في طلب العلم وأنا أحترم
 أهل العلم السلفيين - بفضل الله تعالى - ثم بفضل توجيهات أخي الشيخ
 محمد منذ صغري ، فابن باز وابن عثيمين والألباني هو الذي فتح عيني
 عليهم ؛ وأنهم علماء العصر ، حتى الألباني - رحمة الله عليه - ما كنت
 أعرفه ؛ طبعًا انتبهوا يا إخواني ! أنا لما أقول ولّا الواحد فينا لما يقول :

" لا أعرفه ! لا أعرفه لصغر سني أو مثلاً لأنني ما أدركت هذه الأمور ! " لا يعني عدم معرفتي ؛ الطعن فيهم ، مثل ما فعل بعض الناس أنه اعتبر قولي في بعضهم " لا أعرفه ! " أني أطعن فيهم ؛ وهذا خطأ يا إخواني ! إلا إذا اقترنت قرينة من كلام المتكلم تدل على إرادة الطعن ، أما هكذا ؛ لا يلزم .

فالشيخ الألباني - رحمة الله عليه - كان علماً لکني كنت صغيراً ولا أعرف من هو الألباني ، حتى مرّة جاء ذكره عند أخي الشيخ محمد أو هو ذكر لي الشيخ الألباني ؛ طبعاً كان هناك أيضاً رفقة سوء ما كنت أعرفهم ؛ أنهم على خلاف المنهج ، وأنا كنت طالباً ربما في المتوسطة أو الثانوي ، فجااء ذكر الألباني فكأنني - يعني - جعلته - يعني - غير معروفاً ، أو مثل علماء الأزهر أو كذا ..

فقال لي أخي محمد : هل تعرف الألباني ؟

قلت : لا أعرفه

قال : هل قرأت له ؟

قلت : لا أعرف ، من هو الألباني ؟

فسكت ، قال : لا ، أنا لن أتکلم ، ولن أعطيك شيئاً ، ولكن أنت اذهب إلى أي مكتبة ، واطلب أي كتاب للشيخ الألباني واقراه ، ثم أکلمك بعدها أشوف أيش رأيك في الشيخ الألباني .

فأذكر أني أخذت كتابه " مختصر صفة الصلاة " فقرأته كاملاً ، وقرأت كلامه في خلف الكتاب " هذه دعوتنا " وجئت لأخي محمد الشيخ محمد ، فقال : هاه ، ماذا وجدت ؟

فقلت له : هذا الرجل عالم وصاحب سنة ، مثله من العلماء الذين يُحرص عليهم .

فقال : نعم ؛ هذا هو ، هذا الألباني عالم ، صاحب سنة وحديث ، وهؤلاء الذين يتكلمون في الألباني لا يعرفونه ، ويجهلون حاله .. في كلامٍ هذا معناه .

فالشاهد من الكلام ؛ أخي محمد - جزاه الله خيرًا - منذ أن نشأت في طلب العلم وبدأت وهو يوجهني مثل هذه التوجيهات في علماء السنة واحترامهم ، والبعد عن المخالفين للسنة - جزاه الله خيرًا - .

وكان من هؤلاء العلماء بل من أبرزهم وأوائلهم " **الشيخ ابن باز** " و " **ابن العثيمين** " - رحمة الله عليهم - و " **الألباني** " أيضًا - رحمة الله عليه - .

فالحمد لله انكشف هؤلاء ، وانفضح أمرهم ؛ حتى سقطت أوراقهم الباطلة ، وقد عرفهم السلفيون في مشارق الأرض ومغاربها .

ولكني أريد أن أنبه على قضية مهمة في نظري ؛ تتعلق بهذا الموضوع من جهة تنبيه إخواننا السلفيين عمومًا ؛ أن يحذروا هذه الفتنة ، وأن يبتعدوا عنها لأنّ الغرض ضرب الدعوة السلفية عمومًا ، وتفريق صفّها ، والتشويش عليهم ؛ حتى يتوصلوا بذلك بضرب ولادة الأمر والتشكيك فيهم ؛ لأنّ الدعوة السلفية حاربت قضية الخروج وإسقاط ولادة الأمر ، والدعوة السلفية تقوم على السمع والطاعة لولادة الأمر في المعروف ، إلى آخره ..

فهؤلاء في الربيع العربي ، أو الخريف العربي لا الربيع ؛ كانوا يسعون لإسقاط وإفساد كل الحكومات ، وتسليط الأعداء عليهم ، وتولية أهل البدع ، ولكن الحمد لله الذي ردّ كيدهم ، إذ أنّ الدعوة السلفية بفضل الله أولًا وآخرًا ، ثم لولادة الأمر عندنا في المملكة العربية السعودية ، ثم

لعلمائنا السلفيين ؛ حاربوا الخروج على ولاة الأمر وإسقاط الأنظمة ، وفكّكوا كل هذه الشبكات الخارجية الإرهابية الدّسيّسة على المجتمعات المسلمة .

فلا سبيل إلى ذلك إلا بالطعن في العلماء ، والطعن في المنهج السلفي وحملته والتفريق بينهم ؛ حتى تضعف شوكتهم ، ولذلك أنبه إخواني إلى هذا المكر ؛ وهؤلاء للأسف التفوا حول بعض المشايخ لاحتواء من يدخل ويخرج عليهم ؛ التفوا حول المشايخ ليجعلوهم يطعنوا في بعض المشايخ السلفيين الآخرين عن طريق الكذب والتهم والنميمة والإفساد بين المشايخ ، التفوا حول بعض المشايخ لاستصدار الفتاوى المتعلقة بهم مما يدل على وجود أيدي خفية لهم مع الخارج ومع الأعداء لضرب الدعوة السلفية - نسأل الله السلامة والعافية - ؛ وإن شاء الله ولاة أمرنا وغيرهم من ولاة الأمر يأخذون على أيدي هؤلاء بسيف الشرع ولكن أن نكون نحن السلفيين يدًا تعينهم على ضرب السلفية هذه والله مصيبة ؛ ولذلك إخواني - برك الله فيكم - اثبتوا على الحق ، الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة ، ومن كان يسير على هذا .

وإياكم أن تظنوا أن العالم السلفي معصوم وأنه لا يمكن أن يكون حوله أناس يُلبّسون عليهم مطلقًا هكذا ، فأقول : العالم السلفي غير معصوم ،

أما قال ابن مسعود : " **من كان مستنًا ؛ فليستن بمن قد مات - أي**

(1) ؟

الصحابة - فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة "

فلماذا بعض إخواننا السلفيين يجعل ويتعامل مع بعض المشايخ الذين قد يكونوا وقعوا في خطأ وبعضهم قد يكون أيضًا حتى قد خالف الحق ،

(1) الراوي : قتادة بن دعامة ، المحدث : الألباني ، المصدر : تخريج مشكاة المصابيح ، الجزء أو الصفحة : 191

فلماذا بعض إخواننا يجعلون كل ما يقوله هذا العالم حقًا وكأن هذا العالم مصدر تشريع ؟
هذا خطأ ؛ حتى قال بعضهم من قال كلماتٍ عجيبة في تعليق الحق ببعض العلماء .

فالعالم قد يزل ويخطئ ؛ والعالم أيضًا السلفي قد يكون حوله من يلبس عليه طبعًا هذا بالدليل والبراهين وبالقرائن الواضحة ؛ لما يكون العالم مثلًا سابقًا يُثني على إخوانه السلفيين ويؤصل القواعد الواضحة ثم يأتي في بعض المواقف وإذا به يُخالف ما كان عليه سابقًا ولا نعرف إلا أن هؤلاء الأشرار هم الذين حوله ، ألا يدل هذا دلالةً واضحةً على أنهم أثروا عليه ؟

لسنا رافضة ندعي العصمة لعلمائنا ، ولسنا حدادية نطعن في العلماء السلفيين جُزافًا ونسقطهم ، ولسنا صوفية نُقدّس الأشخاص ؛ السلفية منهجٌ وسط .

فلذلك – بارك الله فيكم – علينا أن نتذكر وأن ننتبه لهذه الأصول السلفية في التعامل مع العلماء ومع الدعوة السلفية ؛ فهذا الشيخ العثيمين – رحمه الله تعالى – من العلماء المعروفين المشهورين ، وكتابه هذا من الكتب المفيدة التي تدل على سعة أفقه العلمي ، العالم لما يؤلف في الحديث والتفسير والفقه وأصول التفسير وأصول الفقه والنحو والبلاغة والتخريج ، ونحو ذلك يدل هذا على تمكنه في هذه العلوم ، مؤلفاته تدل على ذلك عند نظر العلماء فيها ، طيب ؛ إذا هذه المقدمة الأولى .

المقدمة الثانية : المبادئ العشرة لأصول التفسير ، وكنا قد ذكرنا عدة مرات أن المبادئ العشرة هذه سميت بالمبادئ العشرة لأنها يبتدأ بها في بداية دراسة الفن أو العلم ، وهي مجموعة في قول الناظم :



" إن مبادئ كل فن عشرة "

الحد والموضوع ثم الثمرة

وفضله ونسبة والواضع

والاسم الاستمداد حكم الشارع

مسائل والبعض بالبعض اكتفى

ومن درى الجميع حاز الشرفا "

فقوله **" إن مبادئ "** أي أول ما يبتدىء به طالب العلم في فن من الفنون عددها عشرة مبادئ .

" الحد " أي التعريف ؛ وهذا المبدأ الأول .

و **" الموضوع "** أي ما يبحث فيه العلم ؛ وهذا المبدأ الثاني .

ثم **" الثمرة "** وهذا المبدأ الثالث ، والثمرة أي إذا درست هذا العلم ؛ ما ثمرته ؟ وما فوائده ؟ .

و **" فضله "** وهذا الرابع ، المبدأ الرابع أي مكانته .

و **" نسبة "** أي بالنسبة للعلوم ، هذا العلم ما نسبته ؟ وهذا المبدأ الخامس .

و **" الواضع "** أي أول من تكلم فيه ؛ هذا السادس .

و **" الاسم "** أي أسماء هذا العلم ؛ وهذا السابع .

" **الاستمداد** " يعني ؛ من أين يأخذ علومه هذا العلم ؟ وهذا الثامن .

" **حكم الشارع** " أي ما حكم الشارع في تعلمه ؟ وهذا التاسع .

" **مسائل** " وهذا المبدأ العاشر ؛ يعني فيما يبحث هذا الفن من مسائل

؟ ، كأسباب النزول والناسخ والمنسوخ ونحو ذلك .

ثم قال : " **والبعض** " أي بعض العلماء والدارسين .

" **بالبعض** " أي ببعض هذه المبادئ العشرة .

" **اكثفى** " يعني قد يذكر مثلاً تعريفه ، وفائدة معرفته ، وحكم تعلمه ،

فيكتفى ببعض المبادئ لا يذكر العشرة كاملة .

ثم قال : " **ومن درى** " أي ومن علم .

" **الجميع** " أي المبادئ العشرة .

" **حاز** " أي حصل له ، وحقق " **الشرفا** " ؛ أي شرف العلم ﴿ **وَقُلْ رَبِّ**

زِدْنِي عِلْمًا ﴾ (2).

والذي يعرف الحد فقط التعريف فقط وحكم تعلمه ليس كالذي يعرف

أكثر المبادئ أو كلها ؛ فهذا هو التعليق على هذه الأبيات من باب

المذاكرة والمدارسة لما سبق أن بيناه .

أما الأول ، المبدأ الأول : الحد أي التعريف ، تعريف أصول التفسير ؛

فنقول إن كلمة " **أصول التفسير** " متكونة من كلمتين : أصول وتفسير .

(2) سورة طه ، الآية : 114

فالأصل لغةً : ما ينبنى عليه غيره وأيضًا يطلق الأصل لغةً على مبدأ الشيء .

والأصل في الاصطلاح قالوا : الأصل ما يثبت حكمه بنفسه ، وعرفه بعضهم بأنه ما يفتقر إليه غيره ولا يفتقر هو إلى غيره ، ما يفتقر إليه غيره ولا يفتقر هو إلى غيره ، ويقرب من معنى الأصل القاعدة ؛ وهي : الأساس الذي ينبنى عليه البيت ، فأقول - بارك الله فيكم - يقرب من معنى الأصل القاعدة وهي : الأساس الذي يُبنى عليه غيره . طيب ؛ هذه كلمة الأصل ، أصول التفسير جمع أصل والأصل ما مر معنا .

والتفسير لغةً : هذه الكلمة مأخوذة من مادة فَسَّرَ ؛ وفسر كلمة تدل لغةً : على ظهور الشيء وبيانه ، ومنه الكشف عن المعنى الغامض ، وقيل : أصلها التفسير من سَفَرَ ، وهذا معروف في اللغة بالقلب ؛ أي يقربون حرفًا مكان حرف ، مثل : كلمة جَذَبَ وجَبَدَ ، ففسَّرَ وسَفَرَ ؛ وسَفَرَ بمعنى - أيضًا- الكشف والبيان والإيضاح .

والتفسير في الاصطلاح : بيان كلام الله المعجز المنزَّل على نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بواسطة جبريل - عليه السلام - على حسب الطاقة البشرية ، وهناك تعاريف أُخر - لعلني أكتفي بهذا - . فالمفسر يبين معاني الآيات والسور والكلمات على حسب طاقته ؛ أي على حسب قدرته العلمية .

كلام الله - عز وجل - مُعْجَز ؛ لا زال العلماء يستخرجون مما في درره ومعانيه الشيء الكثير من العلم ، ولذلك المفسرون في تفاسيرهم لا يعتبر

تفسيرهم أنه أتى بكل معنى القرآن ، ولذلك لا زال العلماء يستنبطون من القرآن (وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا) (3) .

طيب ؛ هذا تعريف أصول التفسير باعتبار الكلمتين أصول وتفسير .

فما هو تعريفه باعتباره عِلْمًا على هذا العلم ؟ أصول التفسير ؟

عرّفه بعضهم بقوله : القواعد والأسس التي يقوم عليها علم التفسير .

وبعضهم عرّفه بقوله : ما يبني عليه التفسير حسب قواعده .

وبعضهم عرّفه بقوله : العلم الذي يُتوصل به إلى الفهم الصحيح للقرآن

، ويكشف الطرق المحرّفة أو الضالة في تفسيره ، وكل هذه التعاريف

تسلّط الضوء على شيء مما يبني عليه هذا العلم ؛ فهو قواعد وأسس

يقوم عليها علم التفسير وهو - أي أصول التفسير - يُتوصل به - علم

أصول التفسير - يتوصل به إلى الفهم الصحيح للقرآن - واحد - ، وكشف

الطرق المحرّفة أو الضالة ، مثل تفسير الشيعة والروافض - أخزاهم الله

- حين يفسرون كلام الله بباطلهم وأهوائهم المنحرفة الضالة ، أو تفسير

الأشاعرة أو الخوارج .

فهذا يبين لنا فائدة هذا العلم وستأتي - إن شاء الله - في محلها .

إذا انتهينا الآن من المبدأ الأول ؛ وهو التعريف .

المبدأ الثاني : الموضوع .

أي ما الذي يبحثه هذا العلم ؟

وأصول التفسير يبحث في علم التفسير من حيث تحديد قواعده وأسس

وشروط تناوله وطرقه ، إلى غير ذلك .

(3) سورة الإسراء (85)

وموضوع علم التفسير ؛ هو القرآن الكريم من حيث بيان معانيه واستخراج أحكامه وحكمه .

المبدأ الثالث : الثمرة .

لأصول التفسير ثمار وفوائد ثمار جلية ، منها :

حصول الأجر والثواب من الله بالاشتغال بما يعين على فهم كلامه .

ومنها : حصول العلم والفهم الصحيح لكلام الله - عز وجل - .

ومنها : العمل بما علم على بصيرةٍ ونورٍ من الله ؛ لأن القرآن نزل ليقرأ وليتدبر وليعمل به ، ولذلك كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يمكنون مدةً في تعلم السورة الواحدة تصل إلى السنة والأكثر ؛ لا لضعف حفظهم بل كانوا أقوياء في حفظهم ؛ ولكن كانوا يتعلمون ما فيها من علمٍ وعملٍ ، أما الآن يحفظ الواحد القرآن شهر أو شهرين أو سنة أو عدة شهور ، وهو قد حفظ حروفه وضبيح حدوده ؛ وهذا خطر ، ووجه خطورته : أنه إذا لم يكن على سنة وعلى بصيرة يستغله أهل الأهواء في جمع الأموال لحسن صوته وقراءته ، ويستغله أهل الأهواء في الخروج على الحكام بحيث إنه يكون معهم ، فالعامة لما ترى القارئ الفلاني معهم تظن أن هذا من أولياء الله وحفاظ كتاب الله ، وما درى العامة أن أولياء الله هم الذين يفهمون دين الله ويعلمون مراده ، فقد يكون ولي الله غير حافظٍ لكتاب الله ولكنه حافظًا لحدوده بشرع الله وأحكامه ، فهذا أولى من ذلك الذي يحفظ الحروف ويضيع الحدود ، حتى ذكر ابن كثير وغيره من أهل العلم : " **أن الخوارج استغلوا الحفاظ لترويج**

باطلهم وتكثير أتباعهم وخذاع العامة " ، ولذلك تجدهم القارئ

الفلاني في المسجد الفلاني وبعد الصلاة يقوم يجمع الأموال ، ثم تذهب الأموال للإرهاب وتذهب الأموال لأماكن لم يشرعها الله ؛ بل

تكون في حقيقة أمرها حربًا على الإسلام وأهله ، ولذلك لا بد من الفهم الصحيح لكلام الله .

وأيضًا من ثماره : العمل بما علم على بصيرةٍ ونور من الله - عز وجل - ، ولذلك جاء عن عمر - رضي الله عنه - أنه لما أخبره أبو موسى الأشعري أن هناك حفظة لكتاب الله يزدادون سنةً بعد سنةٍ خاف عمر - رضي الله عنه - واعتبره نذير سوء ؛ سيكثر حفاظ حروفه المضيعون لحدوده إن لم يفقهوا معناها .

أيضًا من فوائد وثمار هذا العلم : التمييز بين الحق والباطل والرد على الفرق المنحرفة والأقوال الباطلة ؛ فالذي يستدل بالقرآن على أهوائه يرد عليه علماء التفسير والعلماء السلفيون بأن هذا الفهم باطل لمخالفته كذا وكذا من القواعد التفسيرية وغيرها ، فمن ذلك أنهم ردوا على الخوارج الذين يكفرون الحكام ، لقوله تعالى : (**وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**) (4) ، ردوه أن ابن عباس ترجمان القرآن وحبر هذه الأمة الذي جعله النبي - صلى الله عليه وسلم - بقوله : (

اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل) (5) ؛ قال : **" كفردون كفر "** ، وقالوا إذا التفسير عن الصحابي يؤخذ به ، وأيضا من قواعد التفسير وأصول التفسير عند هذه الآية ؛ أن هذه الآية تتكلم عن أهل الكتاب فسياقها ليس في تكفير الحكام من حيث هم وإنما في أهل الكتاب الذين حرفوا وبدلوا الدين ، إلى غير ذلك من القواعد .

أيضًا في أصول التفسير تحصل ملكة وقدرة لدى المتأمل المتدبر المتفقه في كتاب الله ، وأيضا انضباط على أسس وقواعد معلومة تدرج

(4) سورة المائدة الآية : 44

(5) الراوي : عبد الله بن عباس ، المحدث : ابن حبان ، المصدر : صحيح ابن حبان ، الجزء أو الصفحة 7055 .

تحتها فروع كثيرة ، فلا يأتيها كل إنسان يفسر القرآن بهواه ، مثل ما مر في بعض الأحوال أنهم فسروا أو أنزلوا بعض الآيات من كتاب الله على أحداث 11 سبتمبر ، وهو قوله - تعالى - : (**أَفَمَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٍ أَمْ مَنْ أُسِّسَ بُنْيَانُهُ عَلَىٰ شِقَا جُرْفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ**) (6) ، فقالوا : هذه الآية فيها " **شفا جرف هار** " والشارع الذي حصل أو الحي الذي حصل

فيه اسمه " **قرنها رأو كذا** " وجذر الحادي عشر أو العاشر و11 سبتمبر ومثل هذا اللعب بكتاب الله - عز وجل - ، فيقول قائلهم : " **إن كتاب**

الله فيه كل شيء وهذا دلنا على إن هذه الأحداث حق " ؛ طبعًا هذا

التفسير من الإلحاد في كتاب الله - عز وجل - ومن تحريفه - نسأل الله السلامة والعافية - ومن اللعب به ؛ فالتفسير له أسس وقواعد معلومة ، وفي كل علم له أسس وقواعد معلومة ؛ ولذلك هؤلاء الذين يتلاعبون بدين الله ؛ إما أن يأتوا بقواعد جديدة وإما أن يحرفوا القواعد المعلومة أو يُبطل معناها ودلالاتها ، وهذا من مسالك أهل الأهواء في تحريف الحق ورده وإبطاله .

ولذلك القواعد السلفية والقواعد الشرعية **حَكَمٌ** - طبعًا - قواعد مبنية على الكتاب والسنة ومنهج السلف ؛ هي **حَكَمٌ** - بإذن الله تعالى - وفيصلٌ بين أهل الحق وأهل الباطل .

ولذلك تعرفون لماذا يقول كثير من هؤلاء قول فلان مقدم على قول فلان مطلقًا دون التفات إلى الأدلة الشرعية ؛ لأنهم أسسوا قاعدة وهي :

" أن ردك وعدم قبولك لقول العالم طعن فيه ! "

(6) سورة التوبة الآية 109

وَأَسَّسُوا قَاعِدَةً أُخْرَى : " **أَنْ الْعَالَمَ الْفُلَانِي قَوْلُهُ كَلَهُ حَقٌّ** " .

وَأَسَّسُوا قَاعِدَةً أُخْرَى : " **أَنْ مَطَالِبَتَكَ بِالِدَلِيلِ وَرَجُوعَكَ لِلأَدَلَّةِ الشَّرْعِيَّةِ وَالقَوَاعِدِ الْمَرْعِيَّةِ ؛ هَذَا طَعْنٌ فِي الْعُلَمَاءِ وَهَذَا تَأْسِيسٌ لِقَوَاعِدٍ جَدِيدَةٍ** " ،

فَجَعَلُوا الْحَقَّ بَاطِلًا وَالبَاطِلَ حَقًّا وَاغْتَرَبَهُمْ مِنْ اغْتَرَبَ - نَسَأَلَ اللهُ السَّلَامَةَ - ، وَتَبَصَّرَ كَثِيرٌ مِنَ السَّلَفِيِّينَ لِحَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَأَوْحَالِهِمْ بِفَضْلِ اللهِ - عَزَّ وَجَلَّ - أَوَّلًا وَآخِرًا ثُمَّ بَيَّنَّ الْعُلَمَاءُ ، ثُمَّ بَيَّنَّ الْعُلَمَاءُ لِهَذَا الْحَقِّ وَرَدَّهُمْ لِلْبَاطِلِ ، وَتَأْصِيلَهُمْ لِقَوَاعِدٍ " **أَنْ الْحَقُّ لَا يَعْاقُ بِالأَشْخَاصِ ؛ بَلْ اعْرِفِ الْحَقَّ تَعْرِفِ أَهْلَهُ وَاتَّبِعْهُ** " اتَّبِعِ الْحَقَّ .

ولذلك كان الانضباط على أسس وقواعد معلومة من فوائد هذا العلم ، بل ومن فوائد كل علم حتى قال الألباني - رحمة الله عليه - ، الإمام ناصر الدين محمد ناصر الدين الألباني قال كلمته المشهورة في هؤلاء الذين - يعني - يتفقهون بدون علم وقواعد ، ويأتون بمسائل من عندهم وآراء من عندهم كالحداية ، قال كلمته المشهورة الألباني - رحمة الله عليه - قال : " **تقليد منضبط خير من اجتهاد أهوج** " ؛ يعني غير منضبط على قواعد .

والأهوج معناه : غير المنضبط المعوج الذي لا يندرج تحت القواعد العامة ، وهي كلمة قوية جدًا في رد اجتهادات وتأصيلات بعض الناس . أيضًا من فوائد هذا العلم : معرفة معاني النظم القرآني وتوضيح آياته وكشف معانيها وتبيين الأحكام ، فالعلم هذا ؛ أعني أصول التفسير غايته ضبط علم التفسير للقواعد الصحيحة والطرق السليمة ، وبذكر آداب وشروط وأدواته التي يحتاج إليها عند تفسيره .

ولعلي أقف عند هذا الحد ونكمل - إن شاء الله - في اللقاء القادم المبدأ الرابع وهو : فضل هذا العلم .

أسأل الله - عز وجل - أن يجعل فيما تدارسنا فيه الخير والبركة ، وأن يجعله حجةً لنا لا حجةً علينا .

وأسأله أن يهدينا إلى الصراط المستقيم وأن يبعدنا عن صراط أصحاب الجحيم المغضوب عليهم والضالين وأن يجنبنا الأهواء والفتن .

وأسأله - سبحانه وتعالى - أن يرفع عن المسلمين في كل مكان الوباء والبلاء والفتن والقلاقل .

وأن يشفي مرضانا ومرضى المسلمين وأن يرحم موتانا وموتى المسلمين في كل مكان .

أسأل الله أن لا يريكم مكروهًا وأن يتم عليكم نعمته وفضله .

وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم أجمعين
والحمد لله رب العالمين .

